التاريخ في حركته بين فلسفة المنهج والموضوع، وتقاطعاته مع علم الاجتماع

مصطفى خروس[1]

جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس (الجزائر)، kharous.mustafa@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/24 - تاريخ القبول: 2022/03/21 - تاريخ النشر: 2023/01/05

ملخص: يعتبر الإنسان كجزء من المجتمع وهو محور الحركة التاريخية، باعتباره كائن اجتماعي يترك أثار قد تكون طي النسيان وقد تأتي اللّحظة التي يخرج فيها من دائرة النسيان نحو الذاكرة والوعي وقد ركّزت الدراسات التاريخية بنوعيها الإنسانية و الإجتماعية على معالجة قضايا واشكاليات مازالت تحمل خصوصية جدلية ،كما تفرّعت العلوم إلى ميادين ومجالات، وهذا التقسيم فرضته طبيعة حركة الإنسان والمجتمع وما أدّت إليه من تغيير في جميع المستويات. استعانت هذه العلوم بعدة مناهج لدراسة هذه التغييرات لازالت تتعرض للنقد ولكون التداخل الكبير بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية يعسُر التفريق بين مناهج البحث فيهما ويعد التاريخ أحد ميادين العلوم الانسانية التي تحتاج إلى فلسفة على المستويين المنهجي والموضوعي لإبراز أغوار الظاهرة التاريخية والوصول الى الحقيقة التاريخية.

تهدف دراستنا إلى ابراز مفهوم التاريخ وكيف نتعامل معه كملتقى لمختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية، وفق منهج تاريخي تحليلي .

كلمات مفتاحية: : الحركة التاريخية ـ الفلسفة . المنهج . العلوم الإنسانية . العلوم الإجتماعية

History in its movement between the philosophy of the curriculum and the subject, and its intersections with social studies

المؤلف المرسل: مصطفى خروس، الإيميل: kharous.mustafa@yahoo.com

Abstract the human being is considered a part of society and the focus of the historical movement. Historical studies, both human and social, have focused on addressing issues and problems that are still subject to controversy.

The human and social sciences have used several approaches to study these changes, and because of the great overlap between the human and social sciences, it is difficult to differentiate between scientific research methods and their employment, and history is one of the fields of the human sciences that need a philosophy at the methodological and objective levels.

Our study aims to clarify the concept of history, and how do we deal with it as a meeting place for the various human and social sciences?

To what extent has the human being contributed by his actions and his movement to change history, and what are the limits and areas of overlapping curricula and the human and social sciences?

Keywords: Historical Movement - Philosophy - Curriculum - Humanities - Social Sciences

1. مقدمة:

يعد التاريخ أحد الميادين والحقول التي أثيرت حولها إشكاليات جمة انتقلت فيه الدراسات من الكل والعام إلى التجزؤ والتخصص وهذه الإنتقالية والحركية بدأت منذ فجر التاريخ أي منذ عهد ظهور التدوين التاريخي 3200 ق م، حيث كان العقل البشري في ذلك الزمن السحيق يكتب ويعبّر عن واقعه ومحيطه بكل تفاعلاته وانفعالاته مترجما أفكاره وخواطره وأحاسيسه ومشاعره بشكل عفوي وتلقائي على المواد الطبيعية. من هنا بدأت الكتابة من البدائية معرضة لتلك الثورات والتغييرات والتحويرات على مستوى التفكير والكتابة والمنهج والموضوع أخرجت الماضي بكل أحداثه وحضاراته وظواهره ومساراته ومتعطفاته في حلّة جديدة أعطته نبضا صنع الحياة للواقعة والحادثة والظاهرة في كل الجوانب الإنسانية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية والعسكرية والعلمية والثقافية.

بذلك تعد الكتابة في أيّ حقل كان في مختلف المجالات والميادين عمل إنساني بحت الهدف منه بشكل عام الوصول للحقيقة رغم تعدد المناهج والآليات والطرق والوسائل. إلا أنّ تطور آليات البحث و النقد في ظل التحولات الفكرية والعلمية والمنهجية قلبت موازين المفاهيم بوضعها تارة في كفة العلم وتارة في كفة الفلسفة تبعها جدلا و نقاشا حول أولويات أساسية تركزت على ثلاثية مفاهيمية هي العلم والفلسفة والمنهج ووصل الأمر إلى الفصل القسري للعلوم إلى ثلاث دوائر كبرى تحتض ن كل منها تفرعات علمية وهي: دائرة العلوم المادية ـ دائرة العلوم الإنسانية . دائرة العلوم الاجتماعية ويبدو للوهلة الأولى أن بينها فواصل وحدود التي صنعها معول الأبستمولوجيا.

صنعت هذه الأبستمولوجيا مرحلة جديدة تم فيها إعادة تشكل وترتيب للمعرفة العلمية بين الدراسات الإنسانية و الإجتماعية، منهجيا و موضوعيا.

وتتوخى دراستنا الأهداف التالية :

. التركيز على مفهوم التاريخ، الذي اختلف بشأنه الباحثين والمؤرخين .

. اعتبار التاريخ كملتقى لكل العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية .

. مقاربة مسار حركة التاريخ، وبراز العوامل التي تم تهميشها في دراسة التاريخ .

فأين يتموقع التاريخ بكل تفصيلاته و عمومياته و مناهجه في ظل اشكالية الحدود بين فلسفة المنهج وعلم الإجتماع.

1. ماهية التاريخ وحقيقة المسار:

إن التاريخ ذلك المحيط الواسع عندما تتلاطم أمواجه تخرج ما في بطنه من معادن و عوالق و كل من يغوص في أعماقه يكتشف خصوصياته ومدى سعة مجاله و من هذا المحيط تتشكل مجالات مائية متفرعة، و صغيرة، هكذا هو التاريخ الذي يتّسم بعمق المجال و بسعة وتحقيق المعارف و دقة المنهج والمبادئ والكثير يخلط بين التاريخ كماضي و بين التاريخ ككتابة. و التاريخ مبدئيا طرح تساؤلات على الفلاسفة و العلماء المؤرخين (ناصرالدين سعيدوني ، د.ت،ص20).

التاريخ هو كل حدث وقع في زمن معين يقيّده العقل و يسجله بدقة وأمانة وهنا نفرّق بين الحدث التاريخي والحدث اللاتاريخي هذا الأخير يحمل هذه الصفة عندما لا يدون من طرف المؤرخ وبعيدا عن المنهجية. وكمثال تعد الكتابات الخلدونيةعن الماضي بمثابة وعي بالتاريخ حسب ناصف نصار في تفسيره لفكر ابن خلدون.(نصار ناصف،1998،ص5). و قد تحرك الخطاب الخلد وني في إطار انتاج رؤية فلسفية نقدية للتاريخ، ويعتبر معظم المؤرخين أنّ عبدالرحمان ابن خلدون مؤسس فلسفة التاريخ وعلم الإجتماع(غسان اسماعيل عبدالخالق الفطافطة،2017،ص03).

الإشكالية السابقة تتولد عنها اشكالية أخرى تتعلق بالحدث ، والماضي والتاريخ .هناك أحداث وظواهر وقعت في حقب وعهود وفترات زمنية مختلفة تصنف إمّا في الجانب التاريخي أو الجانب العادي، والعقل هو الذي يضفي عليها الصبغة التاريخية في لحظة وقوع الحدث أو الظاهرة فمثلا ظاهرة طبيعية وقعت في زمان مكان معينين تظل عادية أو تتحول الى التاريخية عن طريق البحث الذي هو عبارة عن عمليات تتمثل في طريقة تفكي، و فحص و فهم و نقد وصياغة، و ابتكار وإختبار، وفق مناهج معينة للتوصل إلى إخراج الحدث من ماضي مجهول إلى تاريخ معلوم(Ranjit kumar ,séd,p22).

إنّ إضفاء الصبغة التاريخية على الظاهرة يعطي لها قيمة في الحاضر الذي نعيشه والمستقبل الذي نتطلع اليه كظاهرة الأمراض مثلا ومنها الملاريا هذه الأخير تعتبر ظاهرة طبيعية عانت منها شعوب وأمم سابقا ومنها الجزائر التي عانت منها مرارا و تكرارا ونقتصر هنا على العهد العثماني هذه الظاهرة الخطيرة أثّرت على الجوانب الإجتماعية والإقتصادية للبلد لكن مع تدوين هذه الظاهرة في شكل كتابات مذكرات تاريخية أعطاها بعدا تاريخيا والإنسان اليوم في القرن 21م لازال يتحدث عن الملاريا، فيعرف أسبابها وطبيعتها وتطوراتها وتأثيراتها وانعكاساتها والغاية كلها من كتابتها ودراستها ومعرفتها ليس إلا الإحتياط والوقاية منها، والتحكم فيها مستقبلا، وبالتالي فالتاريخ يصبح له معنى مادي وواقعي بعيدا عن التجريد و النظريات عندما يستفيد الفرد والمجتمع من ثمار التدوين التاريخي .

إنّ تكرار حدوث ظاهرة الملاريا واستفحالها يندرج ضمن مسار طبيعي وتاريخي لا نقول عنه دوراني، كما يقول أصحاب نظرية العودة التاريخية مثل: أفلاطون وغيره، أو مستقيم هذا المسار يخضع لمبدأين هما: السببية والحتمية, وتكرارها يتحكم فيه كذلك الى حد ما مدى وعي العقل بها. كذلك الظاهرة السياسية في بلد

ما أو منطقة ما مثل خضوع دول شمال افريقيا دائما لأنظمة ملكية أو عسكرية يطرح إشكالية معقّدة حول خلفيات هذا التجذر السياسي في المنطقة المغاربية و كثيرا ما نجد تفسيرات مشائية وقدرية لهذا التجذر السياسي في العقل المغاربي .

فالعقل المغاربي الذي يدخل ضمن الإطار العام للعقل الإسلامي فهذا المصطلح الأخير استخدمه محمد أركون باعتبار أن نعت الإسلامي كامن في المعطى القرآني (محمد الجابري،2009،ص05) تراكمت في حقل لا وعيه ترسبات قديمة شكلت طبقة وأرضية نبتت فيها أفكار وأحكام أثرت على سلوكيات وعادات وثقافة ومعاملات وسياسات وتوجهات وايديولوجيات، ونُظُم الإنسان المغاربي وعليه تندرج الأنظمة الحاكمة في المنطقة المغاربية ضمن هذا المسار الطبيعي والتاريخي أيضا حتى أصبحت عادة، ويكاد يتفق العقل المغاربي، على أنّها مقدّرة عليهم الى أجل غير مسمّى،و نجد هذه الظاهرة تتكرر وتستنسخ نفسها ضمن هذا المسار مع مرور الزمن الى اليوم.إنّ هذا العقل سواء عند الحاكم أو المحكوم تعايشا في بيئة اختلطت فيها ترسبات الماضي (القابلية للخضوع والطاعة) بالحاضر(عادة تسلط الانظمة) والعقل يتسأل عن هذا التعايش داخل ترسبات الماضي والحاضر.

كلّما تكررت الأخطاء حكم العقل عليها بأنّ التاريخ يعيد نفسه وكلما حدثت طفرة أو نقلة نوعية في الظواهر والأحداث(التطورات)أخرجها من الدائرة الخلدونية. فالدورة التاريخية لا تفرض نفسها والمسار المستقيم لا يرسم نفسه، ذلك أن العقل هو من يعطي معنى وقيمة وبعدا ومسارا معينا للحدث والزمن معا، أي هو من يحول الزمن إلى تاريخ والحدث الى تاريخي, والأحكام والأوصاف التي يطلقها على الحدث والزمن تبقى نسبية لا مطلقة .

وما أجاد به العقول كالعقل الخلدوني من أفكار ونظريات، وقوانين في التاريخ وعلم الإجتماع تبقى نسبية، ومنها نظرية تطور الدولة التي تلخص لنا دورة التاريخ حسبه والنظرية الهيجيلية والماركسية(ميثم الجنابي،2021) هذه الأخيرة تعد منهجية لدراسة حركة المجتمع والاقتصاد والتاريخ وفق رؤية مادية

اذا هناك تعدد في النظريات المفسّرة للتاريخ سواء تفسير دوراني أو تفسير مستقيم. فالعقل العربي الذي يحتاج إلى نقدكما كان يؤمن ويعتقد المفكر محمد عابد الجابري (محمد الجابري،2009،ص15) يطلق جزافا

مقولة التاريخ يعيد نفسه في كثير من الأحيان عند وقوع ظاهرة سلبية أو حادث ماسأوي .ما الذي يحصل حتى يطلق هكذا حكم؟ أليس الانسان هو من يعيد التاريخ ؟.

يجب أن تتوفر عناصر معينة حتى نتحدث عن دورة التاريخ أوعن المسار التاريخي وهي:

ـالظاهرة نفسها: تعج البيئة المغاربية برواسب الماضي السياسية ومنها: الأنظمة السياسية الحاكمة حتى وإن تطورت الدول وظهرت فيها أسر وعائلات جديدة حاكمة، و حتى لو امتدت أو تقلصت حدود سيادتها فإنها هي نفسها من نفس الأرضية ،ومن نفس البذرة التي انغرست في تلك الأرضية المكونة من الرواسب ومن البذرة تقطف الثمار ومن الثمار تستخلص البذرة. واذا أردنا حصد ثمار جديدة علينا زرع بذرة جديدة وخلق ظروف جديدة استعدادا لنمو جديد وهذا المثال ينطبق على طبيعة الانظمة الحاكمة والدول اليوم في المغرب العربي هذه الاخيرة تكاد نفسها وتماثل ماكان سائدا من قبل في القرن 15 .

. التاريخ نفسه :

إنّ المجال الزمني للظاهرة مهم فظاهرة أنظمة الحكم القديمة في البيئة المغاربية مازالت نفسها قائمة اليوم, فطبيعتها الاستبدادية والملكية والإقطاعية طغت على كل المجالات والميادين عكس دول كثيرة أحدثت طفرة نوعية في أنظمة حكمها منتقلة الى دول عصرية تحكمها مؤسسات وليس أفراد او أحزب واحد او قبيلة أو عائلة ملكية فحتى وإن وجدت بعض العائلات الملكية في العالم فأنها حكمها صوري.

اذا هذه الأنظمة لم تصنع نفسها ،بل صنعها الإنسان نفسه انطلاقا من الظروف التي هيئها لها حتى الإنسان اصبح يطلق اليوم حكم التاريخ يعيد نفسه حتى لو لم تقع الظاهرة والحقيقة أنّ الإنسان هو من يصنع الحدث أو الظاهرة التاريخية ويعيدها إلى الوجود من العدم ليتحول الحكم الى أنّ الإنسان نفسه يصنع التاريخ نفسه.

المكان نفسه:

ليس من الموضوعية إسقاط ظاهرة تاريخية وقعت في بيئة أجنبية على بيئة محلية فهي تتعارض وحكم أنّ الإنسان نفسه يعيد التاريخ نفسه فبيئتنا المغاربية مثلا تختلف كثيرا عن البيئة الغربية فلا الأشخاص هم

الأشخاص ولا الزمن هو الزمن ولا البيئة هي البيئة، فاليوم يقال أنّ المنطقة العربية والإسلامية تمّر بمرحلة الفوضى التي عاشتها أوروبا هذه مغالطة، فليس صحيحا أن نستنسخ التجارب الأوربية في بيئة محلية بعيدة عنها الاف الكيلومترات .

الإنسان نفسه :

إنّ الإنسان هو من يصنع الظاهرة التاريخية والحدث التاريخي ويسعى بوعيه وبدون وعيه فيكررها في الحاضر الذي يعيشه وليس معنى أنّ الظاهرة تتكرر مع نفس الاشخاص وبنفس العناصر والوسائل و إنما قد تتبدل طبيعتها وشكلها ويكون لها نفس الأثار والانعكاسات في نفس المكان تقريبا و في أزمنة متفاوتة وعندما نقول الإنسان نفسه فإننا نقصد العقل نفسه والأفكار نفسها وهذا الإنسان هو من يصنع ويحرك التاريخ و لا معنى للتاريخ بدونه أيْ هو روح الوجود ويسير في مسار طوري وارتدادي ومنه فحركة التاريخ تارة طورية وتارة ارتدادية.

1.1. <u>حركة التاريخ طورية و ارتدادية:</u>

_ليس لحركة التاريخ إتجاه ومسار معين، كما ذكرنا سابقا والتاريخ تصنعه مجموعة من العوامل والعناصر العديدة والمتداخلة و التي حتى و إن طال تمكنها واستحكامها فإنها سترتد إما كليا أو جزئيا.

. إنّ مفهوم الإرتداد فيطلق على حركة التاريخ التي ساهم الإنسان وبقية العوامل الأخرى في صنعه وذلك عندما تضعف وتتراجع قوة هذه العوامل في مرحلة زمنية معينة، وقد تتمظهر هذه العوامل في ملك أو حاكم أو إمبراطور أو قد تكون دولة أو حضارة.

1.2. <u>الحركة الكائناتية والواعية للتاريخ:</u>

إنّ هذا المصطلح نراه مناسبا لما له علاقة بحركة الإنسان والكائنات الأخرى المحيطة به أيّ كل حركة صادرة من الإنسان يؤثر بها إيجابا أو سلبا مسببا إما إعمارا أو دمارا.

ليس هذا المخلوق العاقل وحده من يعيش على هذه البسيطة، بل هناك كائنات أخرى توابع ومسخّرة له في كل وقت، وهي تشكل موارد أساسية يستخدمها الإنسان في حياته محدثا به تغيرا في كل حركة وفي كل اتجاه ومسار وفق غوستاف لوبون عندما تحدث ناقش مسألة فلسفة التاريخ ،وبيّن أن هناك كائنات جامدة

أصبحت خارج نطاق التاريخ عكس الإنسان، الذي أخذ مكانه في الدراسات التاريخية (لولبون غوستاف،ص ص 31-32).

وبهذا فإنّ هذا التغيير الذي يطرأ على الأرض لا يعود لطاقة الإنسان وحدها والتاريخ حافل بالأمثلة والتجارب المتعلقة بالكائنات الأخرى وفي ذلك يذكر القرآن أمما غيرت وجه التاريخ رأسا على عقب مثل قصة الطير الأبابيل التي سلطها الله على جيش أبرهة الحبشي و إبادته كليا هو وجيشه عندما حاول تحطيم الكعبة الشريفة وتغيير وجهة الحجيج ي نحو كعبته التي سمّاها القليس.

إنّ هذه الحركة التي قام بها أبرهة أراد من خلالها القضاء على دين العرب. إلّا أنّ ارادة الله وإرادة أهل مكة وقفتا في وجه الحركة الأبرهية.

. من خلال ما سبق نؤكد على أنّ كل ما يدبّ على هذه الأرض من حركة صادرة عن كل كائن حي تساهم في النهاية في الحادثة أو الظاهرة التاريخية .

إنّ حركة التاريخ محورها الإنسان وغيره من الكائنات الأخرى التي تتكامل فيما بينها لتؤدي دورتها الحياتية محققة أهدافها الوجودية تولد ثم تعيش ثم تموت وبهذا تنتقل من مرحلة الى أخرى ومن طور إلى آخر مساهمة في تفعيل حركة التاريخ التي ليس لها إتجاه معلوم او مرسوم.

لا يمكن أن نربط هذه الحركة بالإنسان فقط باعتبار أن هذا الكون تعيش فيه مخلوقات كثيرة ومتعددة ولكل كائن تاريخيه وبصمة مثلما للإنسان تاريخ وبصمة، طالما ارتبطت هذه الحركة بالإنسان. فكلما زادت منجزاته ومنتجاته الحضارية والعلمية والثقافية والعسكرية كانت حركته التاريخية ذات قيمة تاريخية وبالتالي فإنّ كل ما يتعلق بسلوك الإنسان، وغيره، مما يدب على هذه الأرض هي حركة تاريخية إنسانية وإجتماعية كائناتية وواعية .

2. فلسفة التاريخ والمنهج:

انّ الفلسفة أسلوب تفكير وطريقة تعاطي مع اشكاليات الحياة بتحدياتها والبحث عما يحقق للإنسان من مخارج تتناغم مع ما يبذله من مجهود وطاقة تفكيرية وبدنية. ولفلسفة التاريخ أربعة قضايا هي:

ـ النسبية فيما يخص القيم مثل كارل ماركس.

. قضية العلية،ومن أشهر روادها أرلوند توينبي .

ـ قضية حركة التاريخ.

ـ قضية التنبؤ والتوقع (رحاب صلاح لدين الحسن:2005،ص5).

تدرس الفلسفة المبادئ الأولى وتفسّر المعرفة تفسيرا عقليا حسب تعريف المعجم الوسيط (مجموعة باحثين،2004،ص700) وبذلك فهي بأدواتها تسلك مسلك نظري تأملي تفسيري وتتقاطع مع التاريخ من خلال محاولاتها تعليل الأحداث أو الوقائع لتاريخية بغية ايجاد علّة ورابط واحد وشامل ما بينها ،والوصول إلى قانون واحد على أساسه يفسّر التاريخ والربط بين الحلقات الثلاث بخيط واحد وهي الماضي والحاضر والمستقبل بذلك ويتفق غالبية العاملين في حقل الفلسفة أنّ فلسفة التاريخ يتحدد دورها في إستخلاص وإستقراء العلل والقوانين المتحكمة في مسار الحوادث التاريخية (عبدالقادرعدالة،2019،ص18)

قد يتحول المؤرخ إلى فيلسوف فينظر في الأدلة المادية والشفوية ظاهرا، أو باطنا متجاوزا البحث السّطحي و العام يستخدم الملاحظة و التأمل و التعمّق والدقّة والفحص والنّقد للوصول إلى العلل الخفية و التاريخ بمفهومه العام يدرس الإنسان أو المجتمع وتفاعله أو انفعاله في المكان والزمان.

إن فلسفة التاريخ التي تدرس الإنسان تتطلب من المؤرخ والباحث مجموعة ملكات أكثر من مجرد وصف الظواهر و الأحداث، ودراسة العلاقات فيما بينها ودراسة الإنسان ما تعّلق به من أدوار، وعلاقات، و نتائج و إنتاج وباختصار دراسة بصمته على مرّ العصور والإنسان يعد بسلوكه ظاهرة إنسانية وإجتماعية وسياسية وثقافية وتقوم كل هذه الظواهر التي يصنعها الإنسان بحركته ونشاطه على مبدأ عدم الثبات.

. انّ الظاهرة مهما كانت طبيعتها والتي نؤرخ لها هي ذاتها ذات محورها الإنسان والمجتمع والزمان والمكان وتدرسها فلسفة التاريخ بالتحليل والتعليل.

هناك الكثير من الكتابات التاريخية متراكمة عبر العصور كل منها تعكس خلفيات معينة و لا يمكن أن نجعل منها شيء مقدّس ونرسم حولها خطوط حمراء لمنع المؤرخين من مجرد الإقتراب منها تحت دعاوي وحجج مختلفة وننسى أيضا ما للمؤرخ من دور نبيل في كشف الحقائق التاريخية باعتبار أّن الكتابة

التاريخية عامل أساسي في بث الوعي داخل المجتمع وتعطي قيمة مضافة لحضارة ما و هذا في حالة ما وجدت المناخ المناسب لقراءة و إعادة قراءة التراث التاريخي بنظرة ناقدة.

تخضع الوثائق التاريخية لعملية فلسفة بحثا في التفصيلات والجزيئات في متون التاريخ والفلسفة هنا نعني بها طرح سؤال: لماذا وكيف متجاوزة الأسئلة العادية والسطحية، ونشير هنا إلى الكثير من القضايا التاريخية مثل التاريخ الجزائري الذي يتطلب إثارة اشكاليات جديدة حول قضايا ومسائل تاريخية افتقدت إلى التعمق، والجدية الموضوعية. وهنا لابد من مسائلة الوثيقة التاريخية من جديد أو التعامل مع أيّ دليل مادي عن الحادثة أو الظاهرة التاريخية و الأمر يتوقف على الباحث والمؤرخ الذي عليه ان يفهم ويفسر ويحلل ويركب ويقيم ولا يترك ظاهرا أو باطنا في التاريخ إلّا وعرف العلل والأسباب واستخلص المبادئ والقوانين والقواعد التي تتحكم في حركة التاريخ.

3.فلسفة مناهج البحث التاريخي :

اهتم الفلاسفة بالتاريخ واعتنوا بها عبر تأملاتهم وتحليلاتهم الفلسفية والهدف من ذلك تزويدنا بإمكانية فهم حاضرنا بشكل افضل وهي الحلقة الواصلة بين العلوزم والمناهج(حنان برقرق،فتيحة فاطمي،2021، ص116) ما دمنا قلنا بفلسفة التاريخ، وهي النظر والتدقيق والتمحيص والتعمق في قراءة وتدوين كل ما له صلة بتاريخ الإنسان فإننا نشير ضمنيا بتوظيف كل منهج ووسيلة بما يخدم الحقيقة التاريخية تطلق لفظة المنهج على تلك المراحل والعمليات المتبعة من طرف الباحث الوصول إلى نتائج في بحثه وتستعمل عادة كلمة المنهج مقرونة بنعت يبين نوعها قد يكون كمي و نوعي، أو علمي، أو تجريبي أو تاريخي أوغرها(محمد بن عميرة،2017،ص33)وهناك تصنيفات متعددة للمنهج فهناك(عدالة ،2019،ص ص 38-41):

- تصنيف هويتني.

- تصنيف جود و سكيتيكس .

- هناك تصنيف منسوب الى محمد طلعت عيسى

- تصنيف عبدالرحمان بدوي.

تصنيف محمود قاسم و غيرها من التصنيفات.

لا يخرج تصنيف المناهج عادة عن الأطر الكبرى وهي: المنهج التجريبي ، ومنهج المسح و منهج دراسة الحالة ومنهج التاريخ ويختلف كل منهج حسب إختلاف الموضوع وما يعنينا هنا هي مواضيع العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية معا، فهناك تداخل وتقاطع وتكامل بين الحقلين الإنساني والاجتماعي موضوعيا ومنهجيا وهذا له ما يبرره. خاصة وأن الإنسان هذا الكائن الاجتماعي الذي يعد محور الحركة التاريخية ،و العلوم الاجتماعية لا يمكن فصلها عن علوم الإنسان. و في هذا السياق يعرفها روبرت ميلز"**فهي تعالج مشكلات تاريخ الحياة و التاريخ و الارتباط بينهما داخل البناءات الاجتماعية و هذه الجوانب الثلاث، تاريخ الحياة والتاريخ والمجتمع هي الأسس التي ترتكز غليها الدراسة الجادة للإنسان**"(صليحة بن سباع ،2016،ص18).

لا يمكن فصل سلوك الإنسان وأعماله وانجازاته وقيمه ومعتقداته عن المجتمع الذي تربّى وعاش فيه و محاولة فصل الإنسان عن محيطه ومجتمعة تعد محاولة عبثية وما ظهور ميدان علوم الإنسان إلا لتسهيل الدراسات التاريخية.هذا ابن خلدون الذي عاش في القرن الخامس عشر إستطاع أن يدرك بوسائله وطرقه البسيطة التداخل ما بين العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية.

إنّ هذا التداخل أمر حتمي و أبدي و ليس ظرفي مؤقت و مع تطور العلم ومواكبته للتغيّرات والتحولات في المجالات الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية بدأت تظهر وتتفرع عن العلم الذي يدرس الإنسان أشكالا مختلفة من العلوم والمناهج فظهرت علوم الإنسان علوم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة والعلوم القانونية، وكل نوع من هذه العلوم يضم تحت جناحه علوم أخرى ،هذا التنوع والتعدد انعكاس لظاهرة التطور العلمي والفكري الذي صاحبه ظهور التخصص تلبية لحاجات ورغبات المجتمعات في التاريخ الحديث والمعاصر.

. تعد المناهج إحدى إفرازات هذا التطور وتم تقسيمها حسب مايلي: (الهاشمي بن واضح:2006،ص ص27.26).

ـ العمليات العقلية التي توجهها.

ـ أسلوب الإجراء.

ـ الكم والكيف .

ـ القدم والحداثة .

. وللمنهج التاريخي مميّزات والتي تظهر في الأسلوب المستخدم و هو الأسلوب العلمي وأنّ نقده لمختلف المصادر والمراجع التي يستخدمها ميزة أساسية .إضافة إلى إعتماد المنهج التاريخي على المصادر الأولية والثانوية وإختصاصه بعملية النّقد الظاهري والباطني .

على كلّ باحث في أي مجال من مجالات العلوم الإنسانية أو الإجتماعية إستخدام المنهج الصحيح و الذي يساعده في تحصيل المعرفة. و فساد المنهج يؤدي إلى فساد الثمرة المرجوة (عبدالهادي، رفعت،1994،ص222)،و المقصود بهذا هو الاختيار الصحيح للمناهج و انتقائها بشكل سليم في عملية التدوين التاريخي ويرى ناصر الدين سعيدوني أنّ اكتساب المنهج العلمي في تحليل ومعالجة الأحداث والقضايا التاريخية جانب أساسي في المعرفة التاريخية يكسب صاحبه صفة التخصص.

4.التقاطع الموضوعي والمنهجي بين العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية:

كان المؤرخون العرب والمسلمين يتميّزون بالثقافة الموسوعية واقتبس الكثير منهم قواعد ومبادئ المنهج العلمي التجريبي الذي تبلور وترسخ مع ابن الهيثم وابن سينا والبيروني وغيرهم .هؤلاء كانوا يؤمنون في قراة أنفسهم أنّ البحث هو أداة وسبيل نحو التقدم (Pandey,2005,p1)واحتل التاريخ مكانة واضحة في تصانيف العلوم بمختلف أنواعها فالخوارزمي خصص بابا للتاريخ في كتابه مفتاح العلوم وخصّ ابن النديم في كتاب الفهرست فصلا طويلا عن المؤرخين والتاريخ والنسابة السليمان(عبدالله السليمان،2014،ص138)

كما أنّ الحديث والكتابة عن مختلف العلوم وتدرسيها سواء التجريبية أو غيرها يتطلب تقديم مدخلا أو فصلا عن تاريخها وهذا ما هو سائد في الكثير من المدارس والمعاهد والجامعات في العالم لأنه من الضروري رفع اللبس والغموض عن بدايات وتطورات العلوم ووصولها إلى ماهي عليه اليوم .

إنّ حكمة الفيلسوف كانت منطلق كل العلوم، و وعاء كل التساؤلات عبر التاريخ عن الكون والإنسان قبل إن تتمايز العلوم وتنفصل عن بعضها البعض وهذا التقسيم صادر من قلب الفلسفة وهذه الأخيرة بطريقة أو أخرى هي الجذر الأساسي لكل العلوم مما يجيز لنا القول أن الفلسفة باتجاهاتها الطبيعية والإنسانية تعرضت لعلمية تجزئة وتشظي، لذلك فإن العلوم بنوعيها الطبيعية وكذلك الإنسانية تنتمي ابستمولوجيا ومنهجيا للفلسفة الأم.

بما أنّ العلم هو مجموعة من المعارف المنظمة والمرتبة والمضبوطة استطاع العالم أن يصل بها إلى درجة العلمية والمنهجية فالفلسفة هي من فتحت لهذه العلوم الطريق بنظرتها وتدبّرها وتأملها في هذا الوجود وفي ما ورائه ومهما كانت التفرقة بين العلوم والفلسفة فإن الفضل يعود للفلسفة في بث روح التطور في جسد هذه العلوم وعلى هذا الإيقاع يمكن اعتبار الفلسفة محرّكا يدير آليات التفكير في بقية العلوم . وإلّا بقيت هذه الأخيرة رهينة الجمود والركود والسكون ويؤدي المؤرخ الفاعل دورا جوهريا يصل به الى مصاف الدور التاريخي ،من خلال بحثه وابداعه التي تتسم بالتجدد والتغير(university of calicul,2011, p05).اذا ما الذي جعل الإنسان والمجتمع في حركية دائمة لا تنتهي؟.

قلنا وأكّدنا على مبدأ الحركة التاريخية التي يصنعها الإنسان، وهو عضو في المجتمع يؤدي دوره الوظيفي في الحياة ويجنّد امكانيته وموارده مستخدما خزانة عقله التي تترتب فيها مختلف العمليات الذهنية من معرفة وتفكير وفهم وتحليل وتفسير وكل انسان يسعى في مجال معين ومجتمع معين للمساهمة بطريقة أو أخرى في احداث تغيير وإحداث بصمة وتأثير في كل زمان و مكان، أي أنّ كل بادرة من هذا الإنسان هي حركة والحركة تحصل بإعمال العقل والتعلم من المبادئ والقواعد والقوانين والأفكار في مختلف المجالات.

نتيجة هذه الحركة ومن ورائها العقل تغيّر الواقع سياسيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا ودينيا وإلا كيف نفسّر الأمر الإلاهي للنبي صلى الله عليه وسلم { إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِكَ}. أنّ ما حدث في الماضي .اذا التاريخ أثر بعمق في جميع جوانب حياتنا وإرادتنا تؤثر على ما يحدث في المستقبل(Felipe Fernández Arnesto,p337,2014).

قد حرّك النبي بهذه الكلمة التاريخ وغيّر وجهته رأسا على عقب و نقل العرب من عالم الجاهلية إلى عالم الإسلام. كما غيّرت خريطة الجزيرة العربية بل وخريطة العالم المحيط بجزيرة العرب. تساؤلات كبرى نجيب عليها باختصار إنّه فعل القراءة والتعلم والإنسان الجاهل دون هذا الفعل سيبقى على هامش التاريخ بل سيبقى ذكره مغمورا ومترسّبا في الماضي.

نقل المسلمون رسالة الإسلام من منطقة إلى أخرى وكان الإسلام يبلغ شأوا كبيرا من طور إلى طور حتى قوي ساعد الأمة الإسلامية في ظرف قصير هذه النقلة النوعية في التاريخ ساهم فيها بفاعلية الفرد والمجتمع معًا، و عبر هذا المسار التاريخي كان الفكر السامي الحامل للقيم الأخلاقية يدير ويوجه دفّة الحركة الإنسانية، ومع التوسع والانتشار شرقا وغربا شمالا وجنوبا كان أمرا حتميا أن تقابل هذه الحركة السامية برد فعل أو بحركات مضادة تقوضه. إلّا أنّ إرادة الله وعزيمة المسلمين فتحت المجال لانتشار الإسلام وظهور العلوم الإسلامية بروز علماء ومفكرين أثروا في الحضارة الأوروبية علما ومنهجا .

ارتأينا الإستشهاد بمثال عن فعل القراءة وحركة التعلم في تحريك عجلة التاريخ و جوهر الحركة يدور حول دور العلوم التي تعتبر حصيلة جهد عقلي للإنسان والمجتمع وطبيعي أنّ تظهر العلوم بمناهج كمية ونوعية متقاطعة، ومتكاملة، حتّى أنّ الإنسان لوحده ونتيجة لنشاطه، و جهده و دوره أثّر في تنوع العلوم والمناهج.

إنّ التاريخ، الفلسفة، القانون، الأنثربولوجيا، الإثنولوجيا، علم الاجتماع، كلها تدرس، مجال معين كالإنسان ،والنفس، السلوك، العلاقات، القيم، الدين، العرق والجنس، اللغة، الحقوق، بمعنى أنها تدرس كل ما يرتبط بشخصية ووظيفة ودور الإنسان في الكون عبر سيرته ومساره.

خلاصة: مما سبق نستنتج ما يلي :

يعد التاريخ ميدانا عاما وشاملا لعلوم شتى تتداخل وتتقاطع معه في المنهج والموضوع و يؤدي الانسان والمجتمع دورا جوهريا في تفعيل حركته وديناميكيته.

لدراسة التاريخ يجنّد المؤرخ مجموعة مناهج تخدم مواضيعه المتقاطعة مع العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، كما يستعين مضطرا بالعلوم المساعدة وفي جميع التخصصات للنفاذ للحقيقة التاريخية.

ـ هناك من المؤرخين من يسعى لتتبع الأحداث كرونولوجيا ويتطرق لها سطحيا ولا يتعمق في الأسباب والعلل ليفسح المجال للفيلسوف من أجل فلسفة التاريخ من جديد .

ـ يضطلع المؤرخ الفيلسوف بمهمة فلسفة الوثائق التاريخية ويتتبع مضامينها الجزئية وصولا لقوانين و مبادئ قواعد كلية .

ـ تعد العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية وليدة أصل ومنبع واحد ،فرضت عليها التطورات والتغييرات الحاصلة التشتت والتجزؤ و هذا أدى إلى تعدد المناهج وتداخلها.

ـ إن حركة التاريخ وصناعة الحضارة هي من نواتج آلية العقل الذي توصل إلى اكتشاف علوم نظرية وتطبيقية، جعل لمسار حركة الانسان والمجتمع بصمة ومعنى بعيدا عن الجمود والسكون.

ـ المراجع باللغة العربية:

ـ برقرق حنان،فاطمي فتيحة (2021) فلسفة المناهج بين الفهم وضرورة التوظيف، مجلة التطوير مج08،ع1،جوان 2021.

ـ بن سباع صليحة،منهجية(5ماي2016) كتابة الإشكالية في البحث الإجتماعي،ندوة علمية حول منهجية البحث العلمي،، قسم علم الإجتماع جامعة محمد دباغين، سطيف.

ـ ـ بن عميرة محمد(2017) منهجية البحث التاريخي،ط3، الجزائر، دار هومه.

ـ بن واضح الهاشمي(2006)مطبوعة بعنوان منهجية إعداد بحوث الدراسات العليا، المسيلة. جامعة محمد بوضياف .

ـ جمال عبدالهادي محمد مسعود،وفاء محمد رفعت جمعة (1994) أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا؟ وكيف؟،ط3، المنصورة ،دار الوفاء للطباعة والنشروالتوزيع .

ـ الحسن رحاب صلاح لدين(أوكتوبر 2005) :طبيعة الحقيقة التاريخية بين الفلسفة الغربية والفكر الإسلامي ،دراسة مقارنة ،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستر جامعة الخرطوم ، كلية الأداب ، قسم الفلسفة .

ـ ناصف نصار(1988) الفكر الواقعي عند ابن خلدون ،تفسير تحليلي وجدلي لفكر ابن خلدون في بنيته ومعناه،ط1،د.م.ن ،دار الطليعة .

ـ مجموعة باحثين(2004)،المعجم الوسيط ،ط4 ،د.م.ن،مكتبة الشروق الدولية.

ـ عدالة عبدالقادر،(2019)،ابن خلدون مؤسس فلسفة التاريخ، مجلة عصور،مج18،ع1، جوان.

ـ الجنابي ميثم (2021) ما بين هيغل و ماركس:إشكاليات التاريخ و يفقين المستقبل، صحيفة

المثقف،5596.

. عبالخالق الفطافطة غسان اسماعيل(ديسمبر2017)، موقف ابن خلدون من علم الكلام والفلسفة،مجلة تاريخ العلوم،ع10.

. ناصر الدين سعيدوني (2014)،اساسيات منهجية التاريخ د.ط، الجزائر، دار القصبة للنشر.

السليمان عبدالله :إشكالية البحث التاريخية :مجلة الدراسات والبحوث،العدد608،ايار ،

المراجع باللغة الأجنبية :

_Arnesto Felipe Fernández-,(2014) the historical research method and informations systemes research, Journal of the Association for Information Systems Vol. 15, I6, September.

_ Kumar Ranjit (2011) research methodolog, This third edition published sag,london,,methodolog of history,india _,university of calicul,